الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة الدنيا في قصيدة لا تعشق الدنيا لأبي العتاهية دراسة فنية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
- فضيلة بازولة
- ريمة بوالغالغ

إشراف الدكتور:
مسعود بن ساري

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

مقدمة:

حمداً لله يوافي نعمه ويكافئ مزيد فضله، والصلاة والسلام على المصطفي من بريته رحمة للعالمين "محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين".

عرف العصر العباسي موجة من المجون والتردد إلى مجالس الشعر والتغزل بالنساء، والانحراف عن الطريق المستقيم، ومن بين الشعراء العباسيين الذين اتبعوا هذا الطريق نجد" أبو نواس" و" زهير ين أبي سلمى" كما نجد " أبي العتاهية"، هذا الشاعر الذي كان مستسلما لهذا النمط من الحياة ولكنه سرعان ما تبين بأن هذا السلوك لا يتناسب مع شخصيته المرحة، فراح ليأخذ بنمط جديد مبدأه الأساسي هو التوبة والخضوع لأوامر الإله.

والانقياد نحو الطريق الصحيح، فنظم أشعاره وقصائده في غرض جديد وهو غرض الزهد وقصيدتنا التي نحن بصدد تناولها فنيا تدخل ضمن هدا الغرض قصيدة: "لا تعشق الدنيا" موضوع بحثنا.

وسبب تناولنا لهذا البحث هو شغفنا في البحث عن المستوى الفني والجمالي لهذه القصيدة أما فيما يخص الخطة المتبعة في هذه البحث فقد جاءت في فصلين، نظري تناولنا فيه ترجمة للشاعر، مفهوم الصورة وأهم أنماطها، وفصل تطبيقي يتناول أهم الصورة البلاغية الواردة في القصيدة.

من صور بيانية، معانية، وبديعية...الخ، والمتمثلة في الاستعارات، الكنايات، التشبيهات، الطباق، الجناس، السجع والأساليب الخبرية والإنشائية.. وصور فنية، كصورة الحزن، القصر والزوال..

واعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر ومراجع نذكر منها: ديوان أبي العتاهية، وكتاب تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات....الخ.

وقد واجهتنا جملة من الصعوبات والمعيقات كغيرنا من الباحثين منها قلة المصادر والمراجع وضيق الوقت.

ولا ننسى ما للأستاذ المشرف من الفضل العظيم فنشكره جزيل الشكر، على جهده وصبره معنا، لما دلنا عليه في هذا البحث.

وعلى الرغم من أن بحثنا هذا متواضع ويتسم بالتقصير الا انه يمكن الاعتماد عليه في إنجاز البحوث.

وفي الأخير نسأل الله أن نكون قد قاربنا الصواب وحققنا شيئا من المراد وأي يكن فذلك غاية المعني في بحثنا ولئن كان خلاف ذلك فحسبنا أننا أشعلنا ولو شمعة صغيرة للسالكين الى لأبي العتاهية، والله ولي التوفيق.

الفصل الأول

الجانب النظري

أولا؛ ترجمة الشاعر

ثانيا؛ مفهوم الصورة وأنماطها

ثالثا؛ متن المدونة

أولا؛ ترجمة الشاعر:

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد وكنيته أبو إسحاق ولقبه أبو العتاهية، ولد بعين التمر قرية بالحجاز، نشأ بالكوفة على صناعة اهله، وكانوا باعة جزار، فجعل يصطنعها ويجملها في قفص على ظهره متنقلا في شوارع الكوفة يبيعها، إلا أنه مع ذلك كان ولوعا بالقريض، نزوعا إلى الأدب بقول الشعر على سجيته من دون أن يجهد نفسه، ربما حدث ببعض الحديث فيأتي موزونا مقفى فيظنه الناس نثرا وهو شعر، ومنشأ ذلك تمكن الشاعرية منه ورسوخها فيه، حتى انه كان يقول عن نفسه "لو شئت أن أجعل كلامي شعراً لفعلت"

ومما يؤيد أن الشعر كان فيه سليقة لا صناعة، أنه كان يجهل العروض جهلا تاما، وله أوزان لا تدخل فيه، ولا تجري في مجاريه، ولما سمع به متأدبوا الكوفة وفتيانها، كانوا يذهبون إليه في مصنعه ويستنشدونه فينشد لهم أشعاره، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه، وهكذا بدأ أبو العتاهية في أتونه خزفا، ثم ما لبث أن صنعه درا تقلدته الأمراء والكبراء، وجرى ذكره مجرى المثل، فانتقل الخزاف من بين الطين والماء، إلى مجالس الشعراء ودواوين الخلفاء.

وفد إلى بغداد حاضرة العلم والأدب في أول خلافة المهدي ومدحه فحظي لديه، واختلط ببعض جواريه فعشق منهن جارية تسمى "عُتبة"، أكثر فيها الغزل حتى هم المهدي أن يهبها إياه لولا ضراعتها وكراهتها له، فألهاه عن ذكرها بالمال الكثير، فكان يأخذ المال ولا يفتر عن ذكرها في شعره حتى في مدائحه له،[1] وكل ذلك كما قيل تصنع وتخلق كما لم يذكر بذلك، فلما توفي المهدي واستخلف الهادي تغيرت أخلاق الشاعر فلها عن ذكر "عتبة"، وأخذ في الزهد والتخشن، وأقبل على درس مذاهب المتكلمين وبعض الفرق، فكان يأخذ بكل وقتا ثم ينصرف عنه إذا سمع طاعنا عليه، ولم يأتي عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل، وقصر قوله على التزهيد في الدنيا والتذكير بالموت، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر البتة، فأرغمه الرشيد عليه فابى، فضربه ستين عصا وسجنه

[1] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،(د.ت، د.ط).

ولم يطلقه حتى رجع إلى قول الشع، وكان لا يفارقه في حضر أو سفر، وأجرى عليه وظيفة مقدارها خمسون درهم غير الجوائز منه ومن أمرائه، واتصلت شهرته بالأفاق وتغنى بشعره المغنون، وتناجى به الناس وسائر الزهاد على اختلاف طبقاتهم، وعني العلماء والرواة بجمع شعره[1]، إلا أن البعض الأخر راح الى الحط من قيمة وشأن أبي العتاهية والتقليل من شاعريته واتهامه بالزندقة فخطت أقلامهم في ذلك الكثير.

ويبدو أن أبا العتاهية كان سوداوي المزاج، كثير التردد في أمر الدين، فنقلب على أطوار شتى، شأن الذين يحطون من شأن انفسهم من قيود الدين وينظرون فيه نظرة الناقد فاستقر رأي أبي العتاهية أخيراً بالتمسك بالإسلام والزهد في الدنيا[2].

وهذا التقلب هو الذي أدي بهؤلاء الشعراء إلى رميه بأبشع الشتائم والطعن فيه.

صفة وأخلاق أبي العتاهية:

كان أبي العتاهية أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جعدة وهيئة حسنة، وكان لبق اللسان مدبدب مفككا معتل العقيدة لاضطرابه في الآراء، وتلونه في النحل مفترا على أهله مع وفرة ماله وحسن حاله، وكان بعض الناس ينسبه إلى إنكار البعث محتاجا بأن شعره إنما هو ذكر للموت والنفاد دون ذكر النشور والمعاد، وعلى الجملة فالدارس لحياة الرجل يراه مضطرب المزاج غريب الأخلاق مدبدبا في نسبه وحبه وعلمه وعقيدته.

شعره:

كان هذا الشاعر غزير البحر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ، كثير الافتتان، قليل التكلف، إلا أن شعره كثير الساقط المردول، وأجوده ما قاله في الزهد والأمثال، ولقد قال الأصمعي: "إن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك، يقع فيها الذهب والجوهر والتراب والنوى"، وذلك حق لأنه كان يرسل الشعر إرسالا على البديهة من غير تعمل ولا تنقيح، على أنه في الطبقة الأولى من المولودين كبشار بن برد وأبي نواس، وهذا كان يفضله

---

[1] – حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار بيروت، (د.ط، د.ت)، ص 715.

[2] – المرجع نفسه، ص715.

على نفسه، يمتاز أبو العتاهية بقلة تكلفه وسهولته ألفاظه حتى كادت تخرج إلى حد الابتذال. وحجته في ذلك أنه يرى إلى ان العظى والزهد، فينبغي أن يكون شعره مفهوما لدى الناس سواء، وهو الذي نهج مناهج الزهد والغظات، فاقتفي أثره فيها الشعراء، ولقد طرق أبواب الشعر فأجاد، إلا أن تفوقه ونبوغه إنما هو الحكم وضرب الأمثال، وله أرجوزة جمعت أكثر من أربعة ألاف مثل أما غزله فخيره ما قاله في "عتبة"، وأحسن مدائحه ما قاله في المهدي والرشيد، ولقد صان لسانه من الهجاء إلا ما كان بينه وبين عبد الله بن معن فانه قال فيه من غير فحش ولا هجر:[1]

فضع ما كنت حليت به سيفك خخالا

وما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا؟

ولو مدّ الى أدنيه كيفه لما نالا

أرى قومك أبطالا وقد أصبحت بطالا

درر من قصائده:

كان أبو العتاهية من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي، وأحد أبرز شعراء العصر العباسي انقطع إلى الزهد في أواخر حياته، وأكثر من ذكر القبر واللحد وذكر الموت والبعث والوعد والوعيد، ومن رائع شعره الزهدي الحكمي قوله متعجبا، ومنبها ومحذراً من الغفلة والفخر والكبرياء، وشعره من أسهل الشعر، وأوضحه معنى ودلاله، وأقربه تناولا[2]:

ياعجبا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أبصروا

وعبروا الدنيا إلى غيرها فإنها الدنيا لهم معبر

---

[1] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 269، 270.

[2] – يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت، د.ط)، ص 75.

الخير مما ليس يخفى هو الحشر فذاك الموعد الأكبر

لا فخر الا فخر أهل التقى غدا إذا ضمهم المحشر

ليعلمن من الناس أن التقى والبر كانا خير ما يدخر

ويعجب أبو العتاهية من الذين يشغلون بإحصاء العيوب على الناس، وهم غافلون عن عيوبهم، وعن الموت الذي لا محالة هو آتٍ، فيقول أبو العتاهية في مدونته " يدعوك ربك عنده فتجيب".[1]

يا من يعيب وعيبه متشعب كم فيك من عيب وأنت تعيب

لله دُرك كيف أنت وغاية يدعوك ربك عنده فتجيب

وفي مدونة أخرى عنوانها ، "كلنا يكثر الملامة":

كلنا يكثر الملامة للدنيا وكل يحبها مفتون

ومقادير تناولها الأوهام لطفا لا تراها العيون

ويمر الفتى في كل يوم حركات كأنهن سكون

من جيد الشعر الزهدي وأرقه، لأبي العتاهية، قوله مخاطا الدنيا، داعيا إلى الأخذ بالبساطة والرضا بالقناعة والكفاف وذلك من قوله في قصيدة "والفقر عين الفقر في الأموال"[2]:

ما أنت يادنيا بدار إقامة مازلت يا دنيا كفيء ظلال

غرس التخلص منك بين جوانحي شجر القناعة والقناعة مالي

---

[1] – ديوان أبو العتاهية، دار صادر، دار بيروت، 1920م، ص311

[2] – ابو العتاهية، الديوان، ص311.

لما حصلت على القناعة لما أزل لك يرى الاكثار كالإقلال

ما اعتاض بادل وجهه ولسانه عوضا لونال الغني بسؤال

شعر أبي العتاهية:

أبو العتاهية حسن الشعر، قريب المأخذ، لشعره ديباجة [1]مع غزارة البحر، ولطف المعاني وسهولة الألفاظ وكثرة الافتنان وقلة التكلف، إلا أنه كثير الساقط والمرذول مع ذلك[2].

والجيد منه يمتاز بالسهولة المتناهية وبانطباعه ورقته: وقرب معناه مما يحول بخواطر للعامة والخاصة .

وقد قال للأصمعي: إن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى على قلة تكلفه وسهولة ألفاظه كادت أن تخرج به إلى حد الابتذال[3] كما أنه كان يخطوا إلى الإمام خطوات بمدائحه إذ يتنحى عن الصحراء والأطلال إلا ما قد يأتي عرضا.

إنه يتمسك بالأسلوب القديم للجزل الرصين وكأنه يريد أن يفسح المجال لأساليب عصره اللينة الخفيفة[4]، ولعل هذا ما يعنيه بقوله" أن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين فإن لم يكن كذلك فصواب لقائله أن يكون ألفاظه مما لا تخفي على جمهور مثل شعري.[5]

---

[1] – جورج غمريت ، أبو العتاهية في زهدياته، بيروت ،1988، ص50 .

[2] – المرجع نفسه، ص 52.

[3] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 196.

[4] – شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 245.

[5] – جورج غمريت، أبو العتاهية في زهدياته، ص 51.

ولذلك فهو قلما يذهب في شعره مذاهب القدماء فالشعر عنده سليقة لا صناعة[1] وقد يرى القارئ له في كل قصيدة جيدا ووسطا وضعيفا فإذا جمع جيده كان أكثر من جيد كل موجود، وهو الذي نهج للشعراء منهاج الزهد والعظات فاقتفوا ، أثره فيها، كما أنه له أوزان طريفة ومجزوءة قالها مما لم يتقدمه الأوائل فيها وشواهد على ذلك كثيرة[2]

ولقد طرق أبو العتاهية جميع أبواب الشعر فأجاد، إلا أن تفوقه ونبوغه إنما هو في الحكم وضرب الأمثال.

على أن في القصيدة التي أنشدها يوم تولى المهدي الخلافة ما يدل على علو كعبه في باب المديح، فقد روي أن الشاعر بشار بن برد سمعه ينشد هذه القصيدة التي يقول فيها[3]:

أتته للخلافة منقاده * إليه تجرر أذيالها

ولم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها

واو لم تصلعه بنات للقلوب * لما قيل لله أعمالها

فاهتز بشار طربا و قال لمن حوله:" ويحكم أنظروا ألم يطر الخليفة عن أعواده[4]"، والقصيدة من بحر المتقارب، وألفاظها تسيل نعومة وعذوبة وأكبر خليفة عين بميحه

---

[1] – أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص 196.

[2] – جورج غمريت، أبو العتاهية في زهدياته، ص 54.

[3] – أنيس المقدسي، امراء الشعر، ص 153.

[4] – أنيس المقدسي، أمراء للشعر، ص 153.

هارون الرشيد فقد كان يمدحه في سلمه وحربه وكل المناسبات، يقول في توليه الحكم لبنيه[1]:

وشد عرى الاسلام منه بفتيه * ثلاثة أملاك ولاة عهود

وخير غزل لأبي العتاهية ما قاله في عتبة، وقد نظم في غزله بها رقائق الاشعار، وكان لشعره من قلوب النساء موقع الزلزال البارد من الظما لرقته [2] ، يقول في "عتبة"[3]:

كأنها من حسنها ذرة * أخرجها اليم إلى الساحل

كأن في فيها وفي طرفها * سواحر أقبلن من بابل

لم يبقي من حبها ماخلا * حشاشة في بدن ناحل

يا من رأي قبلي قتيلا بكى * من شدة الوجد على القائل

ونستبعد أن تكون "عتبة" قد أحبت أبا العتاهية وذلك لأسباب: أن الشاعر كان دميم الوجه قبيح المنظر[4]، في حين كانت "عتبة" من جواري قصر المهدي، لافتة للأنظار، ومكانة الجارية، في ذلك الوقت تنافس مكانة المرأة الحرة لما تتصف به من جمال وظرف، وقد صار أغلبهن أمهات أولاد، فأم الرشيد فارسية وأم المأمون فارسية وأم المعتصم تركية[5].

---

[1] – شوقي ضيف ، العصر العباسي الأول، ص 145.

[2] – ابن المعتز، طبقات الشعراء، دار المعارف، القاهر، 1956،ص230.

[3] – أبو الفرج، الأغاني، ج4 ، ص 45.

[4] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 192.

[5] – حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج 2، ص 432.

تحول ابو العتاهية للزهد:

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد وفي سنه 181ه حدث للأبي العتاهية تحول في حياته وتغير في سلوكه، وهذا بعد ان صار في الخمسين من عمره، وربط أهل الأدب تحول أبي العتاهية إلى الزهد بفشله في حب "عتبة"، ومن القائلين بذلك أبو العلاء المعرى كما يبدو في تصريحه[1]:

الله ينقل من شاء * رتبة بعد رتبة

أبدى للعتاهي نسكا * وتاب عن حب عتبة

وزعم المسعودي أن أبي العتاهية إنما ليس الصوف ليأسه من حب "عتبة"، لأنه أثار السجن وفضله بدل العودة لقول لشعر الغزلي.

سبب إصرار أبي العتاهية على الزهد:

كان با مكان أبي العتاهية ان لا يثير سخط هارون الرشيد بأشعاره التي يتغنى فيها بكأس الموت وأن يشفق عليه من الحديث عن ريب المنون، لاسيما وأن الرشيد كان ذا شخصية مزدوجة، يسمع الغناء فيطرب كل الطرب، فيدعوه الطرب على أن يتكلم بكلمة فيها شيء من عدم التورع الديني[2].

وفي الوقت ذاته قد يوعظ فيأثر بالموعظة إلى أن يجهش بالبكاء، فقد روى عنه أنه كان من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة،[3] وكانت عواطفه تتجه الى جهات مختلفة فيصل فيها إلى نهايتها ويسمع قول أبي العتاهية[4]:

خانك الطرف الطموح * أيها القلب الجموع

---

[1] – أبو العلاء المعرى، اللزوميات، ج1، ص 118.

[2] – عروة عمر، الشعر العباسي وأبرز اتجاهات وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص 155.

[3] – أحمد أمين، صحي الإسلام، ج1، ص 113.

[4] – محمد رضوان الداية، أقلام الأدب العباسي، ص 26.

لدواعي الخير والشر * دنو ونزوح

هل لمطلوب بذنب * توبة منه نصوح

كيف إصلاح القلوب * إنما هي قروح

أحسن الله بنا * أن الخطأ يا لا تفوح

فإذا المستور من * بين ثوبيه فضوح

كم من عزيز * طويت عنه الكشوح

صاح منه برحيل * صانع للدهر الصروح

موت بعض الناس في الأمر * من على بعض فتوح

سيصير المرء يوما * حسدا ما فيه روح

فيسفر الرشيد أن أبا العتاهية قصد بهذه الأبيات إثارته وحزنه، وكان الرشيد هو الذي أمره أن يقول شعرا يتغنى به الملاحون اذا ما قلوه في مراكبهم لأنه كان بأذى من فساد لحنهم فصنع أبو العتاهية الأبيات، وفهم الرشيد مقصوده، وكان الرشيد معروفا بميله، إلى البرامكة وهم ميالون الى اللهو والسرور، ومفرطون في حب النبيذ، وكانت الديانة الزرادشتية تبيحه وتجعل شربه من شعائرها[1].

وكان هؤلاء البرامكة في الوقت ذاته يتطيرون من كل شعر فيه ذكر الموت، فقد روي أن الخليفة هارون الرشيد أقام مأدبة بقصره ثم قال لأبي العتاهية:" صف ما نحن فيه من نعيم" فقال أبو العتاهية[2]:

عش ما بدا لك أمنا * في ظل شاهقة القصور

[1] – أحمد أمين، ضحى الاسلام، ص 111.

[2] – أبو العتاهية، الديوان، ص 165.

يسعى عليلا ما اشتهيت * لدى الرواح أو البكور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت إلا في غرور

فبكي الرشيد فقال الفضل بن يحي البرمكي بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته، فقال الرشيد: "دعه انه رآنا في عمى ففكر أن يزدنا منه".

أخبرني يحي بن خالد البرمكي أن أبا العتاهية قد نسك وأنه جلس يحجم الناس للأجر تواضعا بذلك فقال"لم يكن في بيع الجرز ما يكفيه من الذل ويستغني به عن الحجامة"[1].

ونستبعد ما ذهب إليه صاحب أسطورة الزهد، من أن أبا العتاهية كان مدسوسا في مجالس الرشيد، من قبل الفضل بن الربيع وزبيدة، من أجل انتشال الرشيد من زمرة البرامكة الذين غلبوا عليه بلهوهم، ونستبعد أن يكون أبا العتاهية جزاء من الصراع الذي كان قائما بين البرامكة المتنفيدين، وأمراء البيت العباسي الذين يرغبون في الحد من هذا التنفذ[2] .

وصاحب أسطورة الزهد لم يبين استنتاجاته على حقائق تاريخية فقد اعتقد أن الفضل ابن الربيع ومن خلفه زبيدة وآل بيتها، وقد أفذوا يشددون الخناق على الخليفة، ويرصدون حركاته وسكناته، ويتدخلون بطريقة أو بأخرى، في هواياته الشخصية ويحاولون الحد من إقباله على المتع والسكرات ونحوها، وينتقدون تصريحا وتطيحا لامتزاجه بالبرامكة وتسامحه معهم، وتفويض أموره إليهم[3].

لكن هل يعد من المنطقي أن يدس الفضل بن الربيع وأمراء البيت العباسي، في مجالس الرشيد، شاعر جعل الموت فأسا يهوى به على بني العباس عامة وعلى الرشيد

---

[1] – أبو الفرج ، الأغاني، ج3، ص 129.

[2] – عروة عمر، الشعر العباسي، ص 157.

[3] – الكفراوي ، أسطورة الزهد، ص 45.

خاصة؟ وإذا صح هذا الافتراض، فإن الفضل بن الربيع يكون إذ ذلك قد قام بدور أحمق يؤدي إلى تمتين علاقة الرشيد بالبرامكة أكثر من ذي قبل، لا يسما وأن أشعاره فيها الهمز واللمز بالرشيد ما يجعل البرامكة والرشيد معهم ينتقمون على الشاعر، وبإمكان هؤلاء البرامكة استغلال نفوذهم للتخلص من هذا الشاعر المتطير، لاسيما وأنه يظهر من الحقد والكراهية على أمراء البيت العباسي والخليفة هارون بالذات ما يزج به في قفص الاتهام.

فقد زعم الكاتب أن قول أبي العتاهية يخاطب الفضل بن الربيع[1]:

وجفوتني فيمن جفاني * وجعلت شانك غير شأني

ولطالما أمنتني * مما أرى كل الأماني

حتى إذا انقلب الزمان * علي صرت مع الزمان

يوحى أن أبا العتاهية لم يعد من مقدوره أن يتحمل أكثر مما تحمل في أدائه المدور المزعوم، وأن من أراد أن يتأكد فما عليه إلا أن ينظر إلى قوله:" وجعلت شانك غير شأني" فإنه ينطق بأن هناك قضية واحدة تجمع بينهما وأكثر من ذلك فإن الشعر الذي يردده أبو العتاهية في هذه المجالس هو من النوع الذي يزرع الموت ويعطل الحياة، ويدعو إلى التطير، ولا أعتقد أن يكون في مصلحة الفضل ابن الربيع وآل بيت العباس أن يزهد الرشيد في السياسة وفي كرسي الخلافة وهو يعيش بين أناس يحلمون ببعث أمجادهم الفارسية[2].

اتهامه بالزندقة:

لا شك أن الرشيد قد تنبه إلى ما في شعر أبي العتاهية من علامات الزندقة فكان من تشدده معه ما كان ولا يستبعد أن يكون تشدد الرشيد معه من باب الغيرة على الدين

---

[1] – المرجع نفسه، ص 47.

[2] – ينظر عروة عمر، الشعر وابرز اتجاهاته، ص 160.

أيضا فقد ورد في الأغاني أن أبي العتاهية قال: "قرأت البارحة عما يتساءلون ثم قلت مقيدة أحس منها" وقد ورد أن الخليفة الرشيد اتهمه بالزندقة فقال ياسيدي كيف أكون زندقيا وأنا القائل[1]:

ياعجبي كيف يُعصى الاله * أمركبي يحجره الجاحد

وفي كل عجبي شيء له آية * تدل عل أنه واحد

وقد نسبه قوم عصره أنه لا يؤمن بالبعث، يحتجون بأن شعره فيه ذكر الموت والفناء دون الحشر والمعاد[2].

فقد ظل نحو ثلاثين سنة يتغني بكأس الموت الخالدة الدائرة على الخلق فالكل مصيره الفناء وكل وشيك الزوال والكل سيصبح تراب[3].

يقول[4]:

لدوا الموت وابنوا الحرب * فكلكم يصير إلى بياب

ويقول أيضا: [5]

الناس في غفلاتهم * ورحى المنية تطحن

ويقول أيضا: [6]

---

[1] – أبو الفرج ، الأغاني، ج2، ص 222.

[2] – المرجع نفسه، ص 2.

[3] – شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 249.

[4] – أبو العتاهية، الديوان، ص 23.

[5] – المصدر نفسه،ص 268.

[6] – شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص 249.

كل حي عند منيته * حظه من ماله الكفن

ويقول أيضا:

بين عيني كل حي * علم الموت يلوح

ويقول صاحب الأغاني كان منصب أبا العتاهية القول بالتوحيد وأن الله خلق جوهرين متضادين، لا شيء من شيء، ثم انه بنى العالم هذه البنية منها، وأن العالم حديث العين والصنعة، لا محدث له إلا الله وأن الله سيرد كل شيء إلى الجوهرين المتضادين قبل أن تفنن الأغنيان جميعا، وأن المعارف واقعة بقدر الفكر والاستدلال والبحث طباعا.[1] ومن أثار ذلك في شعره قوله[2]:

لكل شيء معدن وجوهر * وأوسط وأصغر وأكبر

وكل شيء لاحق بجوهره * أصغره متصل بأكبره

والخير والشر هما أزواج * لذا نتاج ولذا نتاج

لكل انسان طبيعتان * خير وشروهما ضدان

والخير والشر إذا ماعدا * بينهما بعيد جدا

الخلاف بين الرشيد وأبي العتاهية:

وعلى أن حسد أبي العتاهية وسخطه وتذمره من ذوي الجاه وكذا فشله في الحياة أدى به إلى التغني بالموت،جعل منها رحى تطحن الجميع دون هوادة، وترصد سبيل الخلفاء وأمراء البيت العباسي، وقد وعى الرشيد بهذا الحقد والسخط الذي يجسده شعر أبي

---

[1] – المصدر نفسه، ص 245.

[2] – أبو الفرج، الاغاني، ج4، ص 37.

العتاهية، فطلب منه العودة إلى الغزل دون أن يأمره بترك الزهد، ولم يفهم أبو العتاهية قصد الخليفة فزج به في السجن.

ولو قدر لأبي العتاهية أن يجعل شعره الزهدي وفقا على الأمر بالمعارف والنهي عن المنكر في اطار الدعوة الإسلامية لما كان له مع الرشيد ما كان.

ومن ذلك أيضا كثرة تعريضه بالملوك في شعره الزهدي والمقصود بذلك خلفاء بني العباس عموما والرشيد خصوصا بقوله في ذلك[1]:

زرت القبور قبور أهل الملك في * الدنيا وأهل الرتع في الشهوات

كانوا ملوك مآكل ومشارب * وملابس وروائع عطرات

ومن ذلك أيضا:

إن الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن في أكفائهم ظل

ماذا ترجى بقوم إن هم غضبوا * جاروا عليك وأرضيتهم ملوا

وان نصحت لهم ظنوك تخدعهم * واستقبلوك كما يستقبل الكل

[1] – أبو العتاهية، الديوان، ص 57.

طبيعة زهد أبي العتاهية:

وربما وجد أبو العتاهية في ثقافات القرن الثاني من هندية ويونانية مددا جديدا،[1] ويمكن أن يكون قد استلهم من الروح الشرقية القديمة التي تحتقر الدنيا وتعتبرها ممرا زائلا لحياة عليا[2].

ويمكن أن تكون فيه نواح نصرانية أو بودية[3] ، وقد يكون شعره من هذا النمط شعرا فلسفي إلا أن كل ذلك لا يخرج تنسكه عن كونه ثروة نفسيه على ماضيه وصدى أوسع للثورة منبعثة من الجانب المتدني من المجتمع ضد الخلاعة والفجور[4].

وقد ظل يستلهم شعره من معاني الذكر الحكيم ويشرب من روحانية الإسلام و لا تتعارض أغلب موضوعاته وروح الإسلام وجوهره، وحسبك أن تلم ببعض الأمثلة ذات المضمون الديني من شعره لتقف على هذه الحقيقة ومن هذه الموضوعات:

1/ الدعوة إلى التوبة كقوله:[5]

لاعذر لي قد أتي المشيب * فليت شعري متى أتوب

2/ ذم الدنيا وذلك كقوله:

تجرد من الدنيا بك إنما * سقطت من الدنيا وأنت مجرد

وأفضل شيء نلت منها فانه * متاع قليل يضمحل وينقد

---

[1] – محمد خلف الله، دراسات في الأدب الإسلامي، القاهرة، 1947، ص 85.

[2] – أنس المقدسي ، أمراء الشعر، ص 122.

[3] – مصطفي هدارة، اتجاهات الشعرالعربي، ص 297.

[4] – محمد خلف، دراسات في الأدب الإسلامي، القاهرة، 1947، ص 85.

[5] – المصدر نفسه، ص 128.

وكم من عزيز أذهب الدهر عزه * فأصبح محروما وقد كان يحسد

فلا تحمد الدنيا ولكن ذمما * وما بالا شيء ذمه الله يحمد

3/ زوال الدنيا وذلك كقوله:[1]

ألا نحن في دار قليل بقاؤها * سريع تداعيها وشيك فناؤها

تزود من الدنيا التقى والنهى * تذكرت الدنيا وحان لنقضاؤها

4/ الحث على الصبر وذلك كقوله[2]:

اصبر لكل مصيبة وتجلد * وأعلم بابا المرء غير مخلد

5/ الاستغفار من الذنب: وذلك كقوله[3]:

بكـــــــــــت عينـــــــــــي علـــــــــــى ذنبـــــــــــي

ومـــــــــــا لا قيـــــــــــت مـــــــــــن كربـــــــــــي

فيـــــــــــا ذلـــــــــــي ويـــــــــــا خجلـــــــــــي

وإذا مـــــــــــا قـــــــــــال لـــــــــــي ربـــــــــــي

أمـــــــــــا اســـــــــــتحبت تحصـــــــــــيني

ولا تخـــــــــــش مـــــــــــن الغيـــــــــــب

وتضـــــــــــفي الـــــــــــذنب عـــــــــــن خـــــــــــالتي

---

[1] – المصدر نفسه، ص 14.

[2] – المصدر نفسه، ص 129.

[3] – المصدر نفسه، ص، 39.

وتـــــــــــــــــأبى الهـــــــــــــــــوى قربـــــــــــــــــي

فتـــــــــــــــــب ممـــــــــــــــــا جنيـــــــــــــــــت عســـــــــــــــــى

تعـــــــــــــــــود إلـــــــــــــــــى رضـــــــــــــــــى الـــــــــــــــــرب

6/ الحكومة المستمدة من الدين: وذلك كقوله:

الموت حتى والدنيا فانية = وكل نفس تجزى بما كسبت

من يعيش يكبر ومن يكبر يمت = والمنايا لاتبالي من أتت

فنحن في دار بلاء وأذى = وشقاء وغناء وغنت

رحم الله إمرء أنصف = نفسه إذ قال خيرا أو سكت

ويميل خلف الله إلى تلمس مصادر زهد أبي العتاهية في جداول الحياة الإسلامية المشتركة ويرد مصادره إلى القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الزهاد و العبار للذين عاصرهم[1].

والحق أن أبي العتاهية وإن تعمد أن يرهب الآخرين في صورة الموت والقبر إلا أنه في شعر الاستغفار، يهطع في الثواب ويأمل الجزاء، ولم ييأس أو يقنط من رحمة ربه ولكنه ندم وبكي وخجل واستحيا، فصور ضعفه وذله أمام الله واعترف بذنبه وأكثر من تسبيحه و حمده لربه،ومن ذكر صفات الله وقدرته وعظمته[2].

أسباب زهد أبي العتاهية:

فقد أدت به جملة من الأسباب إلى الزهد قولا وفعلا أولها:

---

[1] – مصطفي هدراة، اتجاهات الشعر العربي، ص 297.

[2] – على إبراهيم أبو زيد، زهد المجان في العصر العباسي، ص 306.

- **تقدمه في السن:** فقد ترك أبو العتاهية المنادمة ومال إلى الزهد بعد بلوغه سن الخمسين وهذا طبيعي وهو شأن كل من تقدم به العمر.

- **معاصرته لأهوال ونكبات مختلفة:** ولد أبو العتاهية بعام سقوط الدولة الأموية موطن الشيعة وفتح عينه مبكرا على أهوال وويلات تركت أثرها الحاد في نفسه فتولد لديه الإحساس الدائم بالموت وقد روى صاحب الأغاني أن أبا العتاهية مر وهو صغير بجماعة يتناشدون الشعر فقال: "أجيزوا ساكني الأجداث أنتم" فعجزوا فقال:

مثلما بالأمس كنتم * ليت شعري ما فعلتم

أربحتكم أم أخسرتكم

على أن هناك أسباب أخرى تتصل بشخصيته وسلوكه وأصله ، فقد روى أنه ندم على ما فرط منه من سلوك ما جبن وقد ذكره بشار في أحد الأخيار بمخنث أهل بغداد[1]، إذ سبق له أن سلك طريق المخنثين الذين يخضبون أيدهم ويلبسون ملابس النساء ويحملون زوامل تميزهم[2].

كما أن من أسباب زهده: إحساسه الدائم بضعة أصله وقد عبر عن ذلك بقوله:

دعني من في كرأب وجد * ونسب يعلك سور المجد

ما الفخر إلا في التقى والزهد * وطاعة تعطي جنان الخلد

ويضاف إلى الأسباب: عوامل فكرية منها طبيعة الحياة الإسلامية في القرن الأول والمدينة للحسن البصري الذي تقدمه في الزمن قليلا، فقد كان لهذا الرجل محل أثير عنده، فقد طبع عهده بطابع الزهد والخوف والحزن، كما أنه أدرك ما لرابعة العدوية في زمانه من احترام وهي التي سلكت قبله طريق المجون، فقد كانت زاهدة في حياتها عابدة

---

[1] – محمد رضوان الداية، أعلام الأدب العباسي، ص 25.

[2] – أبو الفرج، الأغاني، ج4 ،ص 74.

خائفة وقد حدثوا أنها كانت دائمة البكاء وكانت إذا سمعت ذكر الله غشي عليه، وهناك تعليلات أخرى ذكرها الناقد منها أن أبي العتاهية رأى أن ينفرد بالزهد دون سائر أبواب الشعر مجاراة لاستعداده الفطري وهناك من كذب دعواه وأنه كان على خلاف ما يكون عليه الزهاد وأن ما ورد من زهده فهو من باب ظهور أثار الثقافات وهو على كثرة أو قلة في الشعر المحدث[1].

وهناك من اعتقد أن أبا العتاهية اصطنع الزهد واندفع إليه بشوق لأنه يحقق له في الحياة مآرب.

وقد مر بنا قوله لأبي نواس:

"تركت لك الخمر والمجون والرقيق فاترك لي الزهد"، أما ما ذهب إليه يرافق من أن شعر أبي العتاهية لم يكن لله وفي الله وأنه طريق سلكه لإظهار الحسرة على "عتبة" فهذا غير مقبول للأسباب التي سبق أن قدمناها في بداية حديثنا عن الشاعر[2].

ثانيا؛ مفهوم الصورة وأنماطها:

يقف الباحث في طبيعة الصورة أمام تصورات عديدة، وتحديات متنوعة، تتفق والموقف الذي يتخذه المبدع، ويعتمده الناقد أو الدارس[3]، ويشير الاتساع والتنوع إلى أهمية الصورة في النتاجات الأدبية والشعرية الصورة، و لكنه في الوقت نفسه يسم مصطلح الصورة بالغموض والاضطراب والتداخل فإذا كانت الصورة هي الثابت في شعره كله، وكل قصيدة إنما هي في ذاتها صورة، فإن كلمة صورة قد اكتسب قوة غامضة وتأثير خفيا يدرك ويصعب تحديده أو تجنبه[4].

---

[1] – محمد رضوان الداية، أعلام الادب العباسي، ص 26.

[2] – ينظر، عروة عمر، الشعر العباسي، ص 171.

[3] – ينظر، محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهر، 1981، ص 27.

[4] – ينظر ،المرجع نفسه، ص 12.

ويبدو هذا التنوع والغموض ينبع من تعدد التجارب الشعورية وتباينها، وعندما يمكن تصور العدد الغزير من التجارب الشعرية، والصورة الفنية التي أنتجت على مر العصور، ومفهوم الصورة متجدد من عصرالى عصر ثقافي آخر، ومن ناقد متميز إلى ناقد آخر[1].

لأن التجربة الشعرية هي التي تستدعى لغتها الخاصة، وتدفع المبدع الى تشكيلها بطريقة معينة، تتكون الصور فيها وفق الفكرة المسيطرة والشعور الذي يوجهها " إن التجربة الجديدة تبتكر لغتها الجديد"، واللغة خلق دائم، فما عبر عنه تعبيرا لغويا لن يتكرر مطلقا، إلا بإعادة إنتاج ما قد أنتج"[2] .

وقد يجد الدرس نفسه مضطر إلى التسليم بحقيقة مؤداها أن هناك مفاهيم الصورة بعدد النقاد[3]، إذا كان التحديد الجامع المانع لا يتأتي- في مثل هذه الحالة- وليس مقصوداً، فلا أقل من تحديد بعض الملامح التي تميز الصورة، والأنماط التي يمكن أن تتخذها.

وضمن محاولة التقريب تكررت الإشارة إلى معظم الدارسين إلى علاقة الصورة بالخيال والذي هو " القدرة على تكون صورة ذهنية لأشياء غابت عن متناول الحس"[4] .

الصورة الشعرية:

لقد عانت محاولة التحديد الدقيق لمفهوم الصورة من الاضطراب، واتابها قدر من الغموض والتعميم، وكأنها تتأبي على التحديد والتأثير، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى القول" ان أية محاولة لإيجاد تحديد نهائي مستمر لصورة غير منطقية إذ لم تكن ضربا من المحال"[5] .

---

[1] – لطيفة برهم، مفاهيم الصورة الشعرية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1996، ص 11.

[2] – محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، ص 29.

[3] – لطيفة برهم، مفاهيم الصورة الشعرية، ص 11.

[4] – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص 13.

[5] – بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ص 19.

ويرجع هذا الإضراب والغموض في أحد جوانبه إلى تعبير الصورة عن الطبيعة الفردية المتغيرة من ناحية، والى ما تتصف به من مرونة وتطور من ناحية ثانية ، مما يتشكل بحسب الرؤى التي يصدر الأدباء عنها، وبحسب مواقفهم الذاتية وتفاعلهم مع المحركات الحسية المجردة وليس غريبا أن يجد الدارسعدة تعريفات للصورة حتى صار الغموض مفهوما شائعا بين قسم كبير من الدارسين، ولم يقتصر الاختلاف حول مفهومها، بل يطال كذلك محاولة تأصيلها وتتبع تطورها إذ يؤكد عدد من الدارسين أصالة مفهوم الصورة وعمق تجذرها في التراث [1]، وينفي آخرون هذه الصلة ويعدون الصورة مصطلحا وافدا من الحضارة الغربية[2].

وعلى الرغم من مصطلح الصورة الشعرية قد دخل علينا من الأخر فإن قسمها كبير من مكوناته متوافر في تراثنا النقدي والبلاغي، فالجاحظ (ت 255 ه) وهو من أوائل من أشار إلى التصوير في قوله:" إن الشعر صناعة وضرب من النسيج وحسن من التصوير"[3].

إنما ذهب إلى مقارنة الشعر وربطه بجملة من الصناعات التي تظهر فيها المهارة وتحتاج إلى تعمل وروية.

ويعبر الجاحظ عن ضيقه وتبرمه من النظرة الضيقة التي لا ترى من الشعر إلا كلماته الغامضة، ومعانيه المشكلة التي تستحق التأويل، وتصح لكي تكون نماذج لتعليم اللغة والغريب والإعراب.

فالشعر يختلف عن الأساليب التعلمية الجافة التي هي أنسب بالنثر، كما أنه ليس سعيا وراء الغريب، أو تفننا في التعقيد بل هو نشاط متميز قد لا يؤدى بنا ضرب خاص من المعرفة مثل الفلسفة، ولكنه يمكن أن يحقق لنا قدراً مميزا من المتعة ويؤثر في نفوسنا

---

[1] – ينظر، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 9.

[2] – ينظر، مصطفي ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس ، ط2، 1981، ص 8.

[3] – الجاحظ، الحيوان، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948، ص 132.

تأثيرا خاصا[1] . فصورة وثيقة الارتباط بالخيال وأي مفهوم الصورة الشعرية لا يمكن أن يقوم إلا على أساس مكين من مفهوم منها سك الخيال الشعري[2].

ولا يقتصر دور الخيال الشعري على استعادة صور الأشياء بعد غيابها عن الحاسة بل يتحداه إلى ما هو أبعد من ذلك، فعملية إعادة الصورة وتذكرها لاتمام بطريقة آلية ، بحيث لا تختلف من شخص للأخر، بل إن عملية الإعادة تخضع للذات ومواقفها من الواقعة المطلوب إعادتها، والحالة النفسية عند حدوثها وعند تذكرها[3] ، ولذلك ينبغي التفريق بين تداعيات المبدع وتداعيات المتلقي ولا يمكن الاعتماد على أحداهما في تفسير الأخرى، فقد تثير صورة ما لدى المتلقي تداعيات لم يكن المبدع قد اهتدي إليها أصلا.

ومرد الأمر إلى الخبرة الشخصية[4]، ولذلك أمكن القول" إن الصورة المتولدة تتميز بتفردها وخصوصياتها لدى الإنسان الفرد" [5].

إن الخيال الفني يعبر عن نضج مفاجئ لكافة مدركات المبدع المختزنة وقد تراكبت نتيجة تجارب حسية متعددة، شغل الذهن عنها، وربما نسيها ولكنها –فجأة– وبعد فترة من الراحة والكمون، تطفو على سطح الذاكرة، وتسيطر على جوانب التفكير، وقد تتحول إلى فكرة تلح على المبدع وتقلقه وتدفعه إلى التعبير، وبخاصة إذا تعرض لمثير ما.

ولن يحتفظ كل جزء من تلك المدركات بصفاته وخصائصه الأصلية عند إعادة التشكيل وإنما يأتي متداخلا متمازجا مع غيره إلى درجة التشويش والتشويه، ليحقق الأسلوب الأمثل الذي يعبر عن تجربة المبدع الشعورية، وتتجسد هذه التجربة في القصيدة، وفي الصورة على وجه أخص" فالصورة هي أداة الخيال ووسيله ومادته الهامة التي يمارس بها ومن خلالها فاعليته ونشاطه "[6]، تلك أهمية الخيال بالنسبة للصورة،

---

[1] – الجاحظ، الحيوان، ص 131.

[2] – ينظر، لطيفة برهم، مفاهيم الصورة الشعرية، ص 110.

[3] – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ص 14.

[4] – ينظر، عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط 3، 1981، ص 128، 129.

[5] – كريم الوالي، الشعر الجاهلي، ص 200.

[6] – جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث الفني والبلاغي، ص 14.

وبدونه تظل مجرد شعور وجداني غامض بغير شكل ولاملامح، حتى يتناوله الخيال الخلاق المؤلف فيجمع الأجزاء ويفكك ويركب ويعدل ويقوم ويفعل كل ما شأنه أن يمنك التجربة من التجسيد ويحقق لها التناسي والترابط ويعطها شكلها وملامحها محولا إيها إلى صورة[1].

[1] – ينظر، لطيفة برهم ، مفاهيم الصورة الشعرية، ص 110.

متن المدونة: لا تعشق الدنيا

لعَمْـــــــرُكَ، ومـــــــا الـــــــدنيا بـــــــدارِ بقـــــــاء

كفـــــــاك بـــــــدارِ المـــــــوتِ دار فنـــــــاء

فـــــــلا تعشـــــــق الـــــــدنيا أخـــــــي، فإنمـــــــا

يـــــــرى عاشـــــــقُ الـــــــدنيا بجهـــــــد بـــــــلاء

حلاوتهـــــــا ممزوجـــــــةٌ بمـــــــرارة

وراحتهـــــــا ممزوجـــــــةٌ بعنـــــــاءِ

فـــــــلا تمـــــــش يومـــــــا فـــــــي ثيـــــــاب مخيلـــــــةٍ

فإنـــــــك مـــــــن طـــــــينٍ، خلقـــــــت، ومـــــــاء

لقـــــــل امـــــــرؤٌ تلقـــــــاه للهِ شـــــــاكرا

وقـــــــل امـــــــرؤ يرضـــــــى لـــــــه بقضـــــــاء

ولله نعمـــــــاءٌ علينـــــــا عظيمـــــــةٌ،

ولله إحســـــــانٌ وفضـــــــلُ عطـــــــاءِ

ومـــــــا الـــــــدهرُ يومـــــــاً واحـــــــداً فـــــــي اختلافـــــــه،

ومـــــــا كـــــــل أيـــــــام الفنـــــــي بســـــــواء

ومـــــــا هـــــــو إلا يـــــــوم بـــــــؤس وشـــــــدةٍ،

ويـــــــــوم ســـــــــرورٍ، مـــــــــرّةً، ورخـــــــــاء

ومـــــا كـــــل مـــــا لـــــم أرج أحـــــرم نفســـــه،

ومـــــا كـــــل مـــــا أرجـــــوه أهـــــل رجـــــاء

أيـــــا عجبـــــا للـــــدهر لا بـــــل لريبـــــه،

يخـــــرم ريـــــب الـــــدهر كـــــل إخـــــاءِ

وشـــــتت ريـــــبُ الـــــدهر كـــــل جماعـــــة

وكـــــدر ريـــــب الهـــــر كُـــــلَّ صـــــفاءِ

إذا مـــــا خليلـــــي حـــــل فـــــي بـــــرزخ البلـــــى،

فحســـــبي بـــــه نأيـــــا وبعـــــد لقـــــاء

أزور قبـــــور المتـــــوفين فـــــلا أري

بهـــــاء، وكـــــانوا، قبـــــلُ، أهـــــل بهـــــاء

وكـــــل زمـــــان واصـــــلٌ بصـــــريمةٍ،

وكـــــل زمـــــان ملطـــــفٌ بجفـــــاء

يعـــــز دافـــــع المـــــوت عـــــن كـــــل حيلـــــة،

ويعيـــــا بـــــداء المـــــوت كـــــل دواء

ونفـــــس الفتـــــي مســـــرورةٌ بنمائهـــــا،

وللـــــــــــنقص تتمـــــــــــوا كـــــــــــل ذات نمـــــــــــاء

وكـــــم مـــــن مفـــــدى مـــــات لـــــم يـــــر أهلـــــه

حبـــــــــــوه، ولا جـــــــــــادوا لـــــــــــه بفـــــــــــداء

أمـــــــا مـــــــك، يـــــــا نوعـــــــان، دار ســـــــعادة

يـــــــــــدوم البقـــــــــــا فيـــــــــــه، ودار الشـــــــــــقاء

خلقـــــــــت لإحـــــــــدى الغيتـــــــــين، فـــــــــلا تـــــــــم،

وكـــــــــن بـــــــــين خـــــــــوف منهـــــــــا ورجـــــــــاء

وفـــــي النـــــاس شـــــر لـــــو بـــــدا مـــــا تعاشـــــروا

ولكـــــــــن كســـــــــاه الله ثـــــــــوب غطـــــــــاءِ

الفصل الثاني

الصور البلاغية والفنية

أولا: الصور البلاغية

ثانيا؛ الصور الفنية

أولا: الصورة البلاغية

إن الصورة قديمة قدم الشعر نفسه، لأنه لا شعر بدون صورة كما ذكرنا سابقا، وأقدم أنماطها الصورة البلاغية فلغة المجاز " هي اللغة الإنسانية الأولى، وهي الهدف الأسمى للغة الشعرية"[1].

وقد استخدم الأدباء قديما، الصورة المجازية التي تقوم على معني النقل، أو الادعاء وخاصة الاستعارة، أما النقد الحديث، فقد تعامل مع الاستعارة بطريقة أكثر عمقا، فلم تعد العلاقة التي تقيمها علاقة تشابه أو تمثيل، وإنما علاقة تفاعلية، يفقد كل طرف فيها شيئا من خصائصه ومكوناته الأساسية، ويكتسب خصائص ومميزات أخرى جديدة لم تكن له من قبل.

ان استخدام النقاد العرب و الغربيين لمصطلح الصورة الشعرية كانوا يقصدون به الاستعارة و التشبيه أحيانا، ويضاف إليهما المجاز المرسل والكناية أحيانا أخرى، يقول جان مولينو " أن الاستعارة و التشبيه غالب ما اجتمعا تحت تسمية عامة هي الصورة الشعرية و بالنسبة إلى الفهم العام، اليوم فان الصورة الشعرية تعتبر قلب القصيدة...."[2].

فالصورة البلاغية سواء كانت تشبيها أو استعارة أو مجازاً تعتمد على الاتساع، الذي يحدث خللا في الدال والمدلول، أي أن الانحراف أو الانزياح يعد سمة أساسية لكل صورة بلاغية وتتسع سمة الانزياح تبعا للترقي في البناء الصورة، ذلك أن قولنا: "زيداً كالأسد" يثبت له حظاً ظاهراً من الشجاعة، لكن في حدود مقدرة داخل دائرة الاقتصاد الدلالي.

يرى السكاكي أن الصورة البلاغية تتركز حول الدلالات العقلية، التي يتوصل إليها في الذهن من خلال الربط بين اللازم والملزوم أو العكس، هذه الدلالة لا تقف في مقابل الدلالات الوضعية التي لا تؤدي وظيفة زائدة في التعبير اللغوي، قد عبر عن هذين

---

[1]– احمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، ص27،31.

[2]– الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي النقدي، ص55.

النمطين قوله" إن محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن...وإنما يمكن ذلك في الدلالات العقلية "[1].

1/ الصورة البيانية :

إن علم البيان هو معرفة إيراد المعني الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه، وبالنقصان يحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه[2].

ويكون في استعارة والمجاز والتشبيه والكناية ...الخ.

1- الاستعارة:

وهي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الأخر مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به وتكون:

أما استعارة مكنية في قول أبي العتاهية:

لا تعشق الدنيا آخي فإنما * يرى عاشق الدنيا جهد بلاء

حيث شبه الدنيا هنا بإنسان عاشق فحذف المشبه به وهو الإنسان وترك قرينة دالة عليه وهي تعشق.

أو تأتي استعارة تصرحية في قول أبي العتاهية

2- المجاز:

هو استعمال الكلمة في غير ما هي موضوعة له، والمجاز في اللغة العربية يشمل قضايا من علم المعاني، والبيان البديع[1] ، وهن ذلك قوله تعالى" ضرب الله مثلا قرية كانت

---

[1]- السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1، 1983، ص329.

[2]- السكاكي ، مفتاح العلوم.

أمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف"[*] .

فأنظر إلى ما شملت عليه الآية الكريمة من المجازات البليغة والاستعارات فقد تضمنت استعارات أربع الأولى منها القرية للأهل، وهي استعارات كلها متلائمة.

لكن الأصح من هذا كله هو أن إتيان المجاز على شكلين إما عقلي أو لغوي، عقلي ما ورد

في قول أبي العتاهية[2]:

حلاوتها ممزوجة بمرارة * وراحتها ممزوجة بعناء

إذ نسب هنا الذوق الحلو للدنيا (وهي شيء معنوي)، والدنيا لا علاقة لها بذلك، وإنما الأحداث التي تحدث للإنسان هي التي تسعده أو تحزنه والعلاقة هنا زمنية .

ومجاز لغوي فقد ورد في قصيدة أبي العتاهية

3- الكناية:

وهي الانتقال من اللازم إلى الملزوم[3]، ويمكن أن يتضح الأمر أكثر في قول أبي العتاهية:

"لا تمشي في ثياب مخيلة"؛ وهي كناية عن التكبر والتعالي وهنا دعوة إلى ترك هذا الفعل المشين.

وقوله أيضا:

---

[1]- محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية، دار البشير، عمان، ط1، 1991م، ص 33.

[*]- سورة النمل الآية 112.

[2]- انظر القصيدة من الديوان، ص 12.

[3] - السكاكي ، مفتاح العلوم، ص 359.

"كل شر كساه الله ثوب غطاء"؛ وهي كناية عن ستر الله لعيوب الإنسان المتكررة.

وقوله أيضا في بيت أخر:

خلفت لإحدى الغايتين، فلا تنم * وكن بين خوف منها ورجاء

وهي كناية عن عدم الغفلة والتسلح بالإيمان والوعي.

2/ الصورة المعانية

الصورة المعانية هي الصورة التي تؤدي بها الكلام حتى يكون مطابقا لمقتضى الحال، من تقديم وتأخير وحذف، وفصل، وصل، وتعريف، وتنكير، وقصير، إيجاز، وإطناب، ومهما تعددت التعريفات فلن تخرج عن هذا التعريف، وهو العلم الذي يدل على أن لكل مقام مقال.

1- الخبر الإنشاء:

إن الخبر ما احتمل الصدق والكذب، أما الإنشاء ما لا يحتمل صدقا ولا كذبا، ومن ذلك في قول أبي العتاهية في قصيدته في قالب الإنشاء:

فلا تعشق الدنيا أخي، فإنما * يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

أما في الخبر فقوله:

حلاوتها ممزوجة بمرارة * وراحتها ممزوجة بعناء

2- التقديم والتأخير:

ويكون بتقديم المفعول على الفعل والخبر على المبتدأ من ذلك قوله :

فلا تعشق الدنيا أخي فإنما * يرى عاشق الدنيا بجهد بلا

3- الحذف والذكر:

يقول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله:"هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أفصح للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذ لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".

نفهم من هذا القول أن كل كلمة أو جملة يمكن أن يفهم المعنى بدونها بوجد قرائن تدل على الحف يقول أبو العتاهية :

فلا تعشق الدنيا أخي فإنما * يرى عاشق الدنيا بجهد بلاء

حلاوتها ممزوجة بمرارة * وراحتها ممزوجة بعناء

4- الفصل والوصل:

الفصل هو ترك العطف بين الجملتين، أم الوصل فهو عطف جملة على جملة أخرى بأحد حروف العطف.

يقول أبي العتاهية[1]:

لقل امرؤ تلقاه لله شاكراً * وقل امرؤ يرضى له بقضاء

3/ الصورة البديعية:

وتكون هذه الصورة من أجل تقوية المعنى وزيادته جمالا ورونقا، و هي على نوعين :

1- البديع اللغوي: في هذا النوع الأول[2]:

---

[1]- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1989.

[2]- السكاكي، مفتاح العلوم، ص،424،423.

ا/**المطابقة** : وهي أن تجمع بين متضادين كقول أبي العتاهية:

وما هو إلا يوم بؤس وشدة * ويوم سرور مرة و رخاء

ب/المقابلة : وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر، وبين ضديهما، ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هنالك شرط ضده في قوله أيضا في بيت أخر:

لعمرك، ما الدنيا بدرا فناء * كفاك بدار الموت دار بقاء

ت/**الاعتراض** : وهو الحشو، وهو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه كقوله أيضا:

لكل امرؤ تلقاه لله شاكراً * وكل امرر يرضى له بقضاء

ث/الاستتباع: هو ذكر شيء على وجه يستتبع شيء آخر في قوم أيضا

حلاوتها ممزوجة بمرارة * وراحتها ممزوجة بعنا

2- البديع اللفظي: ومن النوع الثاني:

ا/ **الجناس**: وهو تشابه الكلمتين في اللفظ والمعتبر منه في باب الاستحسان وهو عدة أنواع:

1- الجناس التام : وهو أن لا يتجاوز المتجانسان في اللفظ ، كقول أبي العتاهية:

أزور قبور المترفين فلا أرى * بهاء، وكانوا، قبل، أهل بهاء

2 – الجناس الناقص: وهو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة في قوله أيضا:

لعمرك، ما الدنيا بدار بقاء، * كفاك بدار الموت دار الفناء

3 – الجناس المديل: وهو أن يختلفا بزيادة حرف كقوله أيضا: التقاء ولقاء[1].

4 – الجناس المضارع أو المطرق: وهو أن يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج في حيث ورد في القصيدة مايلي:

رخاء، رجاء/ فناء، عناء/ صفاء، جفاء/ سواء، دواء/ لقاء، شقاء.

5 – التجنيس اللاحق: وهو أن يختلفا لا مع التقارب نحو قوله:

بقاء، فناء/ رجاء، جفاء/ قضاء، عطاء

ب/ السجع: وهي النغمة التي تحصل في آخر الكلام ويقال عنه التصريع، وهو أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان متفقة الإعجاز أو مقاربتها[2]، كقوله: "عز اسمه" (إنا إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم)*، وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني لا أن تكون المعاني لها توابع، نحو قول أبي العتاهية في نهاية صدر البيت وعجزه:

لعمرك ما الدنيا بدار بقاء * كفاك بدار الموت دار فناء

ويقول في نهاية بيتين آخرين:

وما هو الا يوم بؤس وشدة * ويوم سرور، مرة ، ورخاء

وما كل ما أرج أحرم نفعه * وما كل ما أرجوه أهل رجاء

ثانيا: الصورة الفنية:

---

[1]– السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ص426، 429.

[2]– المصدر نفسه، ص 429 ،431.

*– سورة الغاشية الآيتان،25،26.

1/ **صورة الزوال** : ذهاب الملك، وزوال الشمس كذلك، زالت الشمس زوالا، وزالت الخيل بركوبها زوالا، وزال زوال فلان و زويلة، قال أحد الشعراء:

هذا النهار بدالها من همها * ما بالها بالليل زال زوالها[1]

يقول أبو العتاهية:

لعمرك ما الدنيا بدار بقاء * كفاك بدار الموت دار فناء

فأبو العتاهية هنا ينبهنا ويؤكد علينا بان نترك الدنيا وما فيها لأنها زائلة والزوال هو التلاشي والاضمحلال ، يقول تعالى:"أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه"[*]

أن الدنيا مهما قصرت أو طالت زائلة و لا مهرب مما ينتظر الإنسان غدا، والقصيدة التي بين أيدينا تحدثت كثيرا عن زوال الدنيا وإنها مجرد سجن يقطن فيه الإنسان وانه خارج منها لا محالة إلى الدار الدائمة بجوار ربه.

يقول أبو العتاهية:

أمامك يا نومان دار سعادة * يدوم البقاء فيها و دار شقاء

نعم إن الدنيا زائلة قصرت الحياة أو طالت ولا مهرب من لقاء الغفور الرحيم .

2/ **صورة الحزن**: يقال حزنني الشيء حزنا و حزنا و(وحزنني) وقد شفني ويشفني إذا حزنك

وأذاك[2] وقد شجاني الشيء يشجوني شجواً اذا حزنك والواجم الحزين، قال الأعشى[1] .

هريرة ودعها ، وان لام لائم ، غداة غدٍ أم أنت للبين واجم

---

[1] – الفراهيدي، قاموس العين، ج3، ص 34.

[*] – سورة القيامة الآية 3.

[2] – أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، كتاب الألفاظ، (د.ت ، د.ط)، ص 460.

ويقال وجم منه يجم وجوما، ويقال سمع كلمة فوجم منها.

والحزن هو الأسى والشجن، يقول لأبو العتاهية:

وما هو الا يوم بؤس وشدة

وقوله أيضا:

حلاوتها ممزوجة بمرارة * وراحتها ممزوجة بعناء

وهنا أبو العتاهية كان ينظر إلى الدنيا نظرة حزن واسى وأنها ليست بالدار الدائمة للبشر، و أنها يختلجها حزن.

ودليل ذلك ورود الكلمة في القرآن الكريم عدة مرات من ذلك قوله عز وجل " انما اشكوا بثي وحزني لله"*.

وقوله تعالى في أية أخرى :"ترى أعينهم تفيض من الدمع حزنا"*، والدمع هنا دلالة على الحزن وعلامة من علاماته.

حزن من الحزن والحزن تقول أصابه حزنٌ شديد وحزن الشديد ويقال حزني الأمر يحزنني فأنا محزون وأحزنني فأنا مُحزن وهو محزن ولا يقال حازن[2].

ويقول تعالى في كتابه الكريم" و أوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفتي القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني"*.

فصورة حزن وردت بكثرة في القرآن الكريم دلاله على وجودها في حياتنا اليومية.

---

[1] – الأعشى، ديوان الأعشى، ص 77.

*– سورة يوسف الآية 86.

*– سورة التوبة الآية 92.

[2] – الفراهيدي، قاموس العين، ج3، ص 160.

*– سورة القصص الآية 7.

3/ صورة القصر:

القصر للغاية، وهو القُصر والقصارى قال العباس بن مرداس:

لله درك لم تتمني موتنا * والموت ويحك قصرنا والمرجع

والقصر: المجدل أي الفدن الضخم، وجمع مقصورة مقاصير، وهو حيث يقوم الإمام في المسجد ليأم الناس، وهذا أقصرك أي موتك و غاتيك التي لا ملاذ منها ولا مهرب[1]

والقصر هنا يعني اقتراب الأجل وزوال الدنيا وملذاتها يقول أبو العتاهية:

أزور قبور المترفين فلا أرى * بهاء، وكانوا، قبل، أهل بهاء

ويقول أيضا:

ونفس الفتى مسرورة بنمائها * وللنقص تنمو كل ذات نماء

كما وردة صورة القصر في القرآن الكريم في صور عديدة منها قوله تعالى:"الم نهلك الاولين ،ثم نتبعهم الآخرين"[*].

فالدنيا قصيرة وهو ما حدثنا عنه القرآن الكريم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأبو العتاهية نحى هذا المنحى وكتب في قصائده عن الدنيا بأنها زائلة لا محال وأنها قصيرة حتى لا يتشبث فيها الإنسان، فيقع في معاصي ومنكرات، لا يحمد عقباها

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي ، قاموس العين، ج 5 ، ص 7.

[*]– سورة المرسلات الآيتان 16،17.

يقول سبحانه وتعالى: "إن يوم الفصل كان ميقاتا، يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا"*، هذا هو حال الدنيا فلا يغرنك بالله الغرور.

*-سورة النبأ :الآيتان 17،18.

الخاتمة

هذا بحث انجزناه في مجال الادب العربي، محاولين مقاربة الصرة الشعرية عند أبي العتاهية، وقد بدت لنا من خلاله شعره، على العموم صورة دينية مضمخة بالتقوى، والحث على الزهد، والتقرب إلى الله، كل ذلك قدمه بلغة سهلة بسيطة، وتلك سمة بارزة في لغته.

ولعله قصد إلى ذلك قصدا لأن الشعر عند أبي العتاهية إنما هو وسيلة وليس غاية في حد ذاته، وسيلة دعوية. لنشر الفكر الديني الزهدي الذي حمل لواءه هو في مقابل التيار الفاحش والماجن، في العصر العباسي والذي مثله أبو نواس آنذاك..

والشعر عند أبي العتاهية يأتيك كأنه نثر لا جهد فيه ولا تكلف، أليس هو القائل في معنى كلامه: لو أردت أن أجل كل كلامي شعرا لفعلت دونما عناء"..

فهرس

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

المصادر والمراجع:

ابن المعتز، طبقات الشعراء، دار المعارف، القاهر، 1956.

ابن خلكان، وفيات الأعيان.

أبو العتاهية، ديوان أبو العتاهية، دار صادر، دار بيروت، لبنان، 1920م.

أبو العلاء المعرى، اللزوميات.

أبو الفرج، الأغاني.

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، كتاب الألفاظ، (د.ت ، د.ط)،

أحمد أمين، ضحى الاسلام،

أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، د.ط).

احمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري،

الأعشى، ديوان الأعشى،

أنيس المقدسي، أمراء للشعر.

بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994،

جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار المعارف، القاهرة، 1980،

الجاحظ، الحيوان، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1948،

جورج غمريت ، أبو العتاهية في زهدياته، بيروت،1988.

حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار بيروت، (د.ط، د.ت).

الخليل بن أحمد الفراهيدي ، قاموس العين،

السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ،ط1، 1983،

شوقي ضيف، العصر العباسي الأول،

عروة عمر، الشعر العباسي وأبرز اتجاهات وأعلامه، ديوان المطبوعات الجامعية، 2010

عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، دار العودة، بيروت، ط 3، 1981،

على إبراهيم أبو زيد، زهد المجان في العصر العباسي، ص 306.

فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها، دار الفرقان، الأردن، ط2، 1989.

كريم الوالي، الشعر الجاهلي،

الكفراوي ، أسطورة الزهد، .
لطيفة برهم، مفاهيم الصورة الشعرية، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، 1996،
محمد بركات حمدي أبو علي، البلاغة العربية، دار البشير، عمان، ط1، 1991م،
محمد حسن عبد الله، الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، القاهر، 1981،
محمد خلف الله، دراسات في الأدب الإسلامي، القاهرة، 1947،
محمد رضوان الداية، أعلام الادب العباسي،
مصطفي ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس ، ط2، 1981،
مصطفي هدراة، اتجاهات الشعر العربي،
يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ت، د.ط)،

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة.....02
الفصل الأول.....04
1/ ترجمة الشاعر.....05
صفة و اخلاق ابي العتاهية.....06
درر من قصائده.....07
شعر ابي العتاهية.....09
تحول ابي العتاهية الى الزهد.....12
سبب اصرار ابي العتاهية على الزهد.....12
اتهامه بالزندفة.....15
الخلاف بين الرشيد و ابي العتاهية.....17
طبيعة زهد ابي العتاهية.....19
اسباب زهد ابي العتاهية.....21
مفهوم الصورة و انماطها.....23
مفهوم الصورة الشعرية.....24
متن المدونة.....28
الفصل الثاني.....31
اولا: الصور البلاغية.....32
الصورة البيانية.....33
الاستعارة.....33
المجاز.....33
الكناية.....34
الصورة المعانية.....35
الخبر والانشاء.....35
التقديم و التاخير.....35
الحذف والذكر.....36

الفصل و الوصل.....36
الصور البديعية.....36
البديع اللغوي.....36
المطابقة 37
المقابلة 37
الاعتراض 37
الاستتباع.....37
البديع اللفظي.....37
الجناس 37
السجع 38
الصور الفنية.....38
صورة الزوال 39
صورة الحزن.....39
صورة القصر 41
خاتمة.....43
فهرس المصادر والمراجع.....45
فهرس الموضوعات.....50

الملخـــــــــص

الملخص: